﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ١٢٤﴾ [الأنعام: 124]

❁ مُنَاسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعدَ بيانِ السُّننِ يأتي بيانُ واقعِها في حياةِ النَّاس

بعد أنْ أبانَ اللّهُ تعالى سُنّتَهُ في البشرِ بأنْ يكونَ في كلِّ بلدٍ زعماءُ مجرمونَ يُضادّونَ دعوةَ الرّسلِ والإصلاحِ، أوضحَ أنَّ هذهِ السنّةَ ماثلةٌ في زُعَماءِ مكّةَ الّذينَ دفعَهم المكرُ والحسدُ لمنْ خصّهُ اللّهُ بالنّبوةِ إلى أنّهُ متى وقعت لهمْ معجزةٌ قاهرةٌ وبيّنةٌ ظاهرةٌ تدلُّ على نبوّةِ محمّدٍ ﷺ قالوا: لنْ نؤمنَ حتّى يحصلَ لنا مثلُ هذا المنصبِ من عندِ اللّهِ، وأنْ نكونَ منَ المرسلين[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿ءَايَةٞ﴾: اسمٌ مؤنّثٌ، جذرهُ اللّغويُّ (أيي)، والآيةُ هيَ العلامةُ ثمَّ يكونُ لها معانٍ أُخرُ، واشتقاقُها منَ التّأيّي وَهُوَ أنْ تتثبتَ، وتقيمَ على الشّيءِ"، والأصلُ في معناها منَ النظرِ، وكونُها مؤلّفةً منَ الكلماتِ والجُملِ سُمّيتْ آيةُ القرآنِ بهذا الاسمِ؛ وهي الطّائفةُ منَ القرآنِ الكريمِ المتّصلُ بعضُها ببعضٍ طويلةً كانت أوْ قصيرةً، "ولكلِّ جملةٍ من القرآنِ دالّةٍ على حكمِ آيةٌ ... وعلى هذا اعتبارُ آياتِ السّورِ التي تعدُّ بها السورةُ"[2]، ومعنى ﴿ءَايَةٞ﴾: "معجزةٌ أو آيةٌ منَ القرآنِ تأمرُهم بالإيمانِ"[3]، وآياتُ اللّهِ عجائبُه، أو هي علامةٌ منَ اللّهِ تعالى دالّةٌ على وجودِ الخالق.

(1) الزحيلي، التفسير المنير: 8/33.

(2) ابن دريد، جمهرة اللغة: (أيا)، وابن فارس، مقاييس اللغة: (أيي)، والراغب، المفردات: (أي)، والكفوي، الكليات، ص: 41.

(3) النسفي، مدارك التنزيل: 1/535.

2) ﴿سَيُصِيبُ﴾: فعلٌ مضارعٌ دالٌّ على الاستقبالِ، الجذرُ اللّغويُّ منهُ (صيب) أو (صوب)، ومعناهُ القصدُ، ويكونُ بحسبِ القاصدِ، وهو منْ صابَ السّهمُ الرّميةَ إذا قصدَها، والصّاد والواوُ والباءُ أصلٌ يدلُّ على النّزولِ والاستقرارِ، وأصابهُ الشّيءُ إذا أدركهُ، وهوَ الحدثُ الذي يصيبُ الإنسانَ سَوَاءٌ أكانَ خيرًا أمْ شرًّا[1]، ومعنى الكلمةِ في سياقِها من الآيةِ أنّه سيقعُ على المجرمينِ ذلّةٌ وهوانٌ.

3) ﴿صَغَارٌ﴾: مصدرٌ جذرهُ اللّغويُّ (صغر)، ومعناهُ ضدُّ الكبيرِ، ومنهُ الصّاغرُ إذا رضيَ بالضّيمِ وأقرَّ بهِ، والصّغَارُ مصدرُ الصّغيرِ في القدْرِ؛ ولذلكَ فإنَّ الصّادَ والغينَ والراءَ أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على الذّلّةِ والهوانِ والحقارةِ، وقدْ يكونُ التّفاوتُ بالحجمِ والجثّةِ فضلاً عنِ القدرِ والمنزلةِ[2]، ومعنى الصّغارِ في الآية: الذّلّةُ والقَماءةُ يومَ القيامةِ بعدَ تكبّرهم[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تجدُّدُ مكرِ المشركين وتكبُّرِهم بعدَ بيانِ الحجّةِ بطلبِ ما ليسَ لهم

ذكرَتِ الآيةُ منْ شأنِ هؤلاءِ المجرمينَ أنّهمْ إذا جاءتهمْ آيةٌ أعرضُوا واشترطُوا الشّروطَ ووضعُوا العراقيلَ، وأرادوا أنْ ينالوا منالَ الأنبياءِ منَ الرّسالةِ والوحيِ والمعجزاتِ، فردَّ اللّهُ عليهمْ أنّهُ أعلمُ بموضعِ رسالتهِ، ومنْ هو الصّالحُ لتحمّلِها والقيامِ بها، ولهُ حكمةٌ في وضعِها موضعَها المناسبَ، ثمّ سينالُ الّذينَ أجرمُوا مُقاساة الهوانِ والارتكاسِ في الذّلّةِ عندهُ تعالى، معَ العذابِ الشّديدِ؛ جزاءً وِفاقًا لمكرِهمْ وكيدِهمْ للإسلامِ وأهلهِ.

وترشدُ الآيةُ الكريمةُ إلى أنَّ الرّسالةَ هبةٌ منَ اللّه يختصُّ بها

(1) الخليل، العين: (صيب)، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (صوب)، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (صوب، صيب).

(2) ابن دريد، جمهرة اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (صغر).

(3) الزمخشري، الكشاف: 2/63.

من يشاء من عباده، ولا ينالها أحدٌ بكسبِه ولا بذكائِه ولا بنسبِه[1]، وإلى إنكارِ حُجَّة المشركين في التّشكيك في رسالة النّبيّ الكريمِ محمّدٍ ﷺ.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

معنى الواو في قولِه تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾:

عطفُ الصّفات على الصِّفات بيانًا وإيضاحًا

الواوُ في قولِه تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ للعطفِ، فقد عطفتْ هذه الجملةَ على جملةِ ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا﴾ فهذا حديثٌ عن أحوالِ مجرمِي مكّةَ الواردِ ذكرُهم هناك[2]، وفائدةُ العطفِ بيانُ حال أولئك المجرمين عندما أتاهم الحقُّ، فهو من عطفِ صفاتِ القوم في الآية الثّانيةِ منَ العنادِ والمكابرة، على صفاتهم في الآية الأولى منَ الإجرام والمكر.

نكتةُ استعمالِ ﴿وَإِذَا﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾:

بيانُ تحقُّق مجيءِ الآيةِ مع تحقُّقِ الرَّدِّ المنكرِ عليها

استعمل النَّظمُ أداةَ ﴿وَإِذَا﴾ بدلًا من (إن) لبيان تحقُّقِ مجيءِ الآيةِ، وتحقُّقِ ردّهم المنكرِ عليها، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ حكايةٌ عنْ خُبثِ هؤلاءِ الكفّارِ وحسدِهمْ وكيدِهمْ؛ فإنّهمْ في الوقت الذي تتّضحُ لهمْ معجزةٌ قاهرةٌ تُثبتُ النبوّةَ وتشيرُ إليها بادروا بعدم الإيمانِ حتّى يَحْصُلَ لَهُمْ مِثْلُ هَذا المَنْصِبِ من عندِ اللّهِ وأنّهمْ لَمْ يطلبوا الحُجّةَ اقتناعًا، بَلْ هُوَ حَسَدٌ منْ أنفسِهمْ[3].

تعيينُ مَرْجِعِ الضَّميرِ في قولِه تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾:

الضّميرُ عائدٌ على الأكابرِ فإنّهم رفضُوا الإيمانَ حتّى يُعطَوْا عطاءَ الأنبياءِ

الضّميرُ في الفعلِ في قولِه تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ راجعٌ إلى أكابرِ مُجرمي القريةِ الذين جرى ذكرُهم في الآيةِ الآنفةِ الذّكرِ، وهم أكابرُ مجرمِي مكّةَ، فهم المقصودون وإنْ كانَ اللَّفظُ

(1) طنطاوي، الوسيط: 5/172.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/أ51.
(3) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 13/135 - 136.

عامًّا؛ فإنّهم تشطّطوا واشترطوا نيلَ ما نالَ الأنبياءُ منَ الآياتِ كي يؤمنُوا[1].

بلاغةُ المجازِ في قولِه تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾:

شخوصُ الآيةِ كنايةٌ عن وضوحِها في إقامةِ الحقِّ

قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ مجازٌ عقليٌّ، فقدْ أسندَ المجيءَ إلى غَيْرِ الفاعلِ الحقيقيِّ معَ عدمِ لمحِ علاقةِ المشابهةِ وهي هنا (الآية)؛ لإيصالِ المعنى في صورةٍ دقيقةٍ مقرّبةٍ إلى العقلِ تظهرُ في مهارةِ إسنادِ الفعلِ (جاءَ) إلى الآيةِ، فاستعملَ المجيءَ وأرادَ منهُ الإعلامَ[2]، وفيه شخوصُ الآيةِ، وتجسيدُ مجيئها إلى أكابر المجرمين، وهو كنايةٌ عن وضوح المجيء وإقامةِ الحقِّ.

تصويرُ مجيءِ الآيةِ استعارةٌ مكنيّةٌ للإعلامِ بمجيءِ الدَّاعي

في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ استعارة مكنية، فقد شبَّه الآيةَ برجلٍ يجيءُ، وحذفَ المشبَّه به وذكر لازمًا من لوازمه وهو المجيءُ؛ فإنَّ الآية على الحقيقةِ لا تجيءُ، والاستعارةُ أبلغُ منَ الحقيقة، فقدْ صوّرَ المشهدَ المتحرّكَ منَ المجيءِ تصويرًا رائعًا، ليشعركَ بهِ أتمَّ شعورٍ وأبلغَهُ، "فكأنّ الآيةَ بلغتْ من وضوحِها ومنِ استقلالِها ومن ذاتيّتِها وَخصُوصِيَّتِهَا أنّها تجيءُ"[3]، وهي بمنزلةِ رجلٍ يأتي لتلاوتِها، أي: تُليتْ عليهم آيةٌ تدعوهم إلى الإيمَانِ؛ تشبيهًا لها بمجيءِ الدَّاعي أو المرسَلِ[4].

نكتةُ تنكيرِ ﴿ءَايَةٌ﴾ في سياقِ الشَّرطِ:

التّنكيرُ يقتضي العمومَ فأيُّ آيةٍ أتتْ فهي موطنُ ابتلاء

نُكِّرت الآيةُ في قولِه تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ﴾ لغرضِ العموم لاسيما أنَّها جاءت في سياقِ الشَّرط، ومعناهُ: كلُّ آيةٍ تنزلُ عليهمْ، وفيها تفسيراتٌ عديدةٌ[5]، منها: نزولُ آيةٍ منَ القرآنِ، وآيةٌ كونيةٌ

(1) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 2/288 - 289، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/أ51.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/أ52.
(3) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 7/3922.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/أ52.
(5) الهرري، حدائق الروح والريحان: 8/49.

معجزةٌ باهرةٌ، وآيةٌ تدلُّ على صدقِ رسالتهِ ﷺ، فكلُّ هذهِ الآياتِ داخلةٌ في معنى الآيةِ المذكورةِ في الآية.

براعةُ تسجيلِ كُفرِهم بقولِه: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ﴾:

تسجيلُ كُفرِ الكافرين من قِيلِهم تمامُ العدلِ ومُنتهى الحِكمة

سجّلَ الحقُّ ﷻ كفرَهم بقولِه تعالى: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ﴾ فهو نفيُ الإيمانِ قولاً مسجّلًا بأفواهِهمْ، وما ينبني عليهِ منْ إقامةِ الحُجّةِ عليهمْ، وتفصيلِ مطالبِهم التي لأجلِها استحقّوا الذَّمَّ البالغَ؛ ولهذا كلِّه آثرَ نقلَ قِيلِهم: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ﴾ دون الحُكم عليهم بقولِه: (كفروا)، ولأنّهُ خبرٌ يحتملُ الصّدقَ ويحتملُ الكذبَ منْ جانبِهمْ؛ لأنّهمْ منكرونَ أصلاً للرّسالةِ، ثمّ إنّهم سجّلوا عدمَ إيمانِهم بـ﴿لَن﴾ الدّالّةِ على المستقبلِ؛ كنايةً عن إصرارِهم على نفيِ الإيمانِ[1].

معنى حرفِ ﴿حَتَّىٰ﴾:

كفرُ المشركين ضاربٌ في عَراقةِ العِنادِ لا يتركونه إلا بتحقيق غايةِ الإيتاء

حرف (حتّى) في قولِه تعالى: ﴿حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾؛ للغاية، أي: أنَّهم رفضوا الإيمان بالكليَّة إلى أن يتحقَّق الإيتاءُ مثلُ الذي كان لأنبياءِ اللّه تعالى منَ الرِّسالةِ والوحيِ والمُعجزاتِ، فإذا تحقَّقت هذه الغاية، تحقَّق إيمانُهم باللّه، وأفاد استعمالُ هذا الحرفِ تصويرَ حالِ أولئك المعاندين في رفض الإيمان، وأنَّهم في منزلةٍ بليغةٍ منَ العناد لا يُزحزحُهم عنها إلا ذلك الإيتاءُ، وهذا في غايةِ التَّعنُّت والكفر والوقاحة؛ فإنَّ الاشتراطَ على اللّه تعالى عِرْقٌ ضاربٌ في الإلحادِ والإنكار.

نكتةُ إسنادِ الفعلِ إلى المفعولِ في قولِه تعالى: ﴿حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ﴾:

اعتناءُ المُتغطرس مقصورٌ على نفسه، غيرُ آبهٍ بما سوى ذلك

لإسنادِ الفعلِ إلى المفعولِ في قولِه تعالى: ﴿حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ﴾ نكتةٌ وهي أنّهم لمّا ظنّوا في أنفسِهم منَ العظمةِ والعُلوِّ وأن لا يختصّ أحدٌ من غيرِهم بشيءٍ[2] طلبوا أن يُؤتَوا بما أُوتي الرّسلُ، فكانت العنايةُ بأن

(1) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 7/2923.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 7/256.

يُؤتَوا ما طلبوه بقطْعِ النَّظر عن أيِّ اعتبارٍ آخرَ، وهذا دليلُ اجتماعِ الجهلِ بالكِبر والغطرسة، فإنَّ شأنَ المتكبِّر المعاندِ أن يَعتني بما يخصُّه، دون النَّظر فيما سوى ذلك.

فائِدةُ التَّشبيهِ في قولِه تعالى: ﴿حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ﴾:

عُتوُّ المشركين وَغَطْرَسَتُهُمْ وكمالُ عنادِهم وكفرِهم

لم يقتصر طلبُ أولئك المتغطرسين المعاندين على إيتاءِ المعجزات، بل أرادوها مماثلةً لمعجزات الرُّسل منَ الوحي والبراهينِ الدَّالّةِ على رسالاتهم سواءً بسواء، وهذا في غاية الوقاحةِ والبذاءةِ، فقابلوا طلبَ الإيتاءِ بالإيتاءِ، ونزَّلوا أنفسَهم منزلةَ الرُّسل في الكرامةِ على اللّه تعالى، ورفعوا من شأنهم إلى أن أوصلوه إلى رُتبة الرُّسل الكرامِ، فكان ذكرُ التَّشبيه بـ ﴿مِثۡلَ﴾ دليلًا على تمام الكِبْر، وكمالِ الغطرسة، وسوءِ الطَّويّة، وفسادِ الفكر.

معنى ﴿مَآ﴾ في قولِه تعالى: ﴿مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ﴾:

موصولةٌ قُصِد بها معجزةٌ ممَّا هو معهودٌ

و﴿مَآ﴾ في قولِه تعالى: ﴿حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ﴾ موصولةٌ[1] ومعناها: مثلُ الذي آتاهُ اللّهُ للرسلِ منَ المعجزاتِ الّتي جاؤوا بها لإثباتِ صدقِ رسالاتِهم لأقوامِهم[2]، كأنَّهم قالوا: نريد معجزةً منَ المعجزات التي آتاها اللّه للرُّسل السَّابقين، ممَّا هو معهودٌ معلومٌ لدى النَّاس.

نكتةُ إسنادِ الفعلِ إلى المفعولِ في قولِه تعالى: ﴿مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ﴾:

قصورُ نظرِ المشركين على الجانب الحِسِّيِّ في الحياة

لَمّا كانَ غايةُ بصرِهم وتطلّعِهم هو الجَانِبَ الحِسِّيَّ من غيرِ نظرٍ إلى الجانبِ الغيبيّ منه تعالى عبّروا بالبناءِ للمفعولِ[3] عن أَرَبِهم في نَيْلِ ما نالَه الرّسلُ بقولِهم: ﴿مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ﴾.

(1) الدرويش، إعراب القرآن وبيانه: 3/218.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/أ52.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 7/256.

سرُّ التَّصريح بعنوانِ الرِّسالةِ لا النُّبوّةِ في قولِه تعالى: ﴿رُسُلُ ٱللَّهِ﴾:

أرادوا الرّسالةَ لاشتمالِها على جميع مطالبِهم

جاءَ التَّعبيرُ بالرسالةِ دونَ النبوّةِ في قولِه: ﴿حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾؛ لأنّهم أرادوا أن يأتيَهم اللّهُ بمعجزاتٍ مستقلّةٍ كتلك التي آتاها لرُسلِه، ويريدونها مشتملةً على موادِّ الدّعوةِ الدّينيةِ لا مجردَ المعارفِ الدّينيةِ من أصولٍ وفروعٍ وغيرِها، ومرادُهم أنّهم لن يؤمنوا حتّى تكونَ الرّسالةُ فيهم[1]، ويُؤيِّدُ ذلك أنّ الحقّ ﷻ ردّ عليهم بعدَه بقوله: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ فهو أقربُ وأنسبُ لما أرادوا[2].

دلالةُ إضافةِ رُسُل إلى لفظِ الجلالةِ في قولِه تعالى: ﴿رُسُلُ ٱللَّهِ﴾:

اعترافٌ ضمنيٌّ من المشركين بمكانةِ الرُّسلِ عند الله تعالى

إضافةُ الرّسلِ إلى اسمِه الشّريفِ تعالى بقولِه: ﴿رُسُلُ ٱللَّهِ﴾، أفاد التَّشريفَ، لكنَّهم أرادوا التَّشريفَ لأنفسهم، أي: كما شُرِّف الرُّسلُ بأن أرسلَهم الله تعالى، فكذلك يريدونه لأنفسِهم، وفيه اعترافٌ ضمنيٌّ منَ المشركين بمكانةِ الرُّسل صلواتُ الله وسلامُه عليهم أجمعين في أنفسِهم، وأنَّهم يُكابرون ويعاندون عند صدِّهم عن سبيل الله وعدمِ إيمانِهم بما جاءَ به رسولُ الله ﷺ.

نكتةُ جمْعِ الرُّسل دونَ الإفرادِ في قولِه تعالى: ﴿رُسُلُ ٱللَّهِ﴾:

الرّسالةُ ليست منصبًا تشريفيًّا أو مكانةً سياسيّةً أو رِفعةً قبليّةً

جمْعُ الرّسل إمَّا أن يُراد به المفردُ، أي: رسولُ الله ﷺ تعريضًا به[3]، كما يقالُ إنّ ناسًا أو جماعةً يقولون كذا، فالتّعبيرُ بالجمعِ والمرادُ شخصٌ واحدٌ معيّنٌ، ويحتملُ أن يرادَ من إطلاقِهم (رسل اللهِ) أن يكونَ من بابِ التهكّم به ﷺ[4]، والصَّحيحُ أنَّهم أرادوا أن يُؤتَوْا مثلَ ما أُوتي رسل الله على الحقيقة، وهم يريدون جميعَ

(1) الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن: 8/352.
(2) رضا، تفسير المنار: 8/33.
(3) والتعريض أسلوب بلاغيّ يأتي خلافًا للتصريح وهو: "اللّفظُ الدّالُّ على الشيّء من طريق المفهوم، لا بالوضع الحقيقيّ، ولا المجازيّ". يُنظر: العلويّ، الطراز لأسرار البلاغة: 1/193.
(4) أبو حيان، البحر المحيط: 4/637، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 8أ/53.

الرُّسل، فما كان لأولئك الرّسلِ مجتمعين يريدونه لأنفسهم، وهذا المناسبُ لشخصية أولئك بما تحويه من فخرٍ وكِبْرٍ كما قال سبحانه: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: 31]، فهم يطلبون المجدَ من طريق زخارف الدُّنيا وبهارجِها وملذّاتِها؛ ظنًّا منهم - وَفق مفاهيمِهم الدُّنيويةِ - أنَّ الرِّسالةَ تشريفٌ نِسبيٌّ، ورِفعةٌ قبليَّةٌ، ومكانةٌ سياسيَّةٌ، وهذا يُنبئُ عن شديد جهلهم، وفيه تحذيرٌ لأتباعِ الرُّسل أن يكونوا على مِنوالِهم، في طلبِ الدُّنيا بطريق الدِّين.

بلاغةُ البَدْءِ بلفظِ الجلالةِ في قولِه تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾:

في قولِه تعالى: ﴿حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ ابتدأَ ذكرَ لفظِ الجلالةِ معَ أنّه مذكورٌ في الجملةِ قبلَها ﴿رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ﴾؛ للدّلالةِ على أنّها جملةٌ جديدةٌ مستأنفةٌ "لأنّ العربَ لا تعيدُ لفظَ الظّاهرِ إلّا أن تكونَ الجملةُ الأولى غيرَ الجملةِ الثّانيةِ، وتكونَ الجملةُ الثّانيةُ مستأنفةً"[1]، والغرضُ منَ الاستئنافِ الإنكارُ عليهم، وأنّ اللّهَ لا يصطفي للنّبوةِ والرّسالةِ إلّا من كانَ أهلًا لها، وأنّه أعلمُ بالمكانِ النّازلةِ فيه.

الجملةُ على الاستئنافِ فهي جملةٌ جديدةٌ غرضُها الإنكارُ عليهم

والبدءُ بلفظِ الجلالةِ في قولِه تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ فيهِ تبيينٌ لعُلوِّ قدرِ الرّسولِ ﷺ؛ فقدْ وضعَ فيهِ رسالتَهُ وشرّفَه بها، وفيهِ تنبيهٌ على انحطاطِ نفوسِ سادةِ المشركينَ وسَفالتِهم[2] أنْ منعَ اللّهُ عنهمْ هذا التّشريفَ بالرّسالةِ، وما ذاكَ إلا لانعدامِ استعدادِهمْ، فلا تصلحُ الرّسالةُ إلا لنفوسٍ دنتْ منَ الصّفاتِ المَلكيّةِ وسَمتْ عنِ الرذائلِ الحيوانيةِ، بفضائلَ نفسانيّةٍ، ونفسٍ قدسيّةٍ أفاضها اللّه تعالى بمحضِ الكرمِ والجودِ على من كمُل

الجملةُ تعظيمٌ لقدرِه ﷺ وتنبيهٌ لانحطاطِ نفوسِ سادةِ المشركينَ

(1) السيرافي، شرح كتاب سيبويه: 1/335.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/أ54.

استعدادُه، فهو منصبٌ لا يُنال بما يزعمونَه من كثرة المال والولد، وتعاضُدِ الأسباب والعَددِ[1].

في الجُمْلَةِ من أساليبِ العربِ مَـا يُـسـمّـى التّرديدَ أو إيهامَ التّوكيدِ

والبدءُ بلفظِ الجلالةِ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ بعدَ أنْ ختمَ الجملةَ السّابقةَ بلفظِ الجلالةِ، هو أسلوبٌ عربيٌّ يُسمّى التّرديدَ: "وهو أنْ يعلّقَ المتكلّمُ لفظةً منَ الكلامِ بمعنى، ثمَّ يردَّها بعينِها ويعلّقَها بِمَعْنًى آخرَ"[2]، فاللّفظُ الأوّلُ مضافٌ، والثّاني ابتداءٌ، وهذا الأسلوبُ يخلعُ على الجملةِ حُسنَ الرّصفِ والتّأليفِ المعجبِ، ولإفادةِ المعاني المختلفةِ، وقدْ يُسمّى إيهامَ التّوكيدِ وهو ليسَ منَ التّوكيدِ في شيءٍ إنّما يُوهمُ أنّهُ منهُ لِأوّلِ وَهْلَةٍ.

توجيهُ استعمالِ ﴿حَيۡثُ﴾ بَيْنَ الحقيقةِ والمجازِ:

حـيـث اسـمُ مكانٍ استُعملَ استعارةً للمكانِ الذي تُوضع فيه الرّسالةُ

﴿حَيۡثُ﴾ الدّالّةُ على الظّرفيةِ في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾، لَيْسَتْ ظَرْفًا بَلْ هي اسْمٌ لِلْمَكَانِ مُجَرَّدٌ عَنِ الظَّرْفِيَّةِ؛ لِأَنَّ حَيْثُ ظَرْفٌ مُتَصَرِّفٌ، عَلَى رَأْيِ المُحَقِّقِينَ مِنَ النُّحَاةِ، فَهِيَ هُنَا في مَحَلِّ نَصْبٍ بِنَزْعِ الخَافِضِ وهو البَاءُ؛ لِأَنَّ ﴿أَعْلَمُ﴾ اسْمُ تَفْضِيلٍ لَا يَنْصِبُ المَفْعُولَ، وَذَلِكَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: 117]، والمقالةُ السّابقةُ بأن يُسْبِغَ اللّهُ عَلَيْهِمْ ما وهبَ الرّسلَ ردٌّ عليهم، بِأَنَّ اللّهَ أعلمُ بالمعجزاتِ اللّائقةِ بالقومِ المرسَلِ إليهمْ، فتكونُ حيثُ مجازًا في المكانِ الاعتباريِّ للمعجزةِ[3]، على جعلِ القومِ كأنّهم مكانٌ لظهورِ للمعجزةِ بعدَ أن ظهرَت على يدِ أحدٍ منهم، وحَيْثُ مُسْتَعَارَةٌ لِلْمَبْعُوثِ بِالرِّسَالَةِ، بِنَاءً عَلَى تَشْبِيهِ الرِّسَالَةِ بِالوَدِيعَةِ المَوْضُوعَةِ بِمَكَانٍ أَمَانَةٍ، عَلَى طَرِيقَةِ الِاسْتِعَارَةِ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 8/21.
(2) ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير: 253.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/أ53.

المَكْنِيَّة. وَإِثْبَاتُ المَكَانِ تَخْيِيلٌ، وَهُوَ اسْتِعَارَةٌ أُخْرَى مُصَرِّحَةٌ بِتَشْبِيهِ الرُّسُلِ بِمَكَانِ إِقَامَةِ الرِّسَالَةِ[1].

نكتةُ التَّعبير بالفعلِ المضارعِ في قولِه تعالى: ﴿حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾:

الـرّسـالـةُ متجدّدةٌ بتجدّدِ تبليغِ المرسَلِ إليهِ وتجدّدِ أثرِها إيمانًا وعملًا

استُعمِلَ الفعلُ المضارعُ في قولِه تعالى: ﴿يَجْعَلُ﴾ للدّلالةِ على الاستمرارِ والتّجدّدِ، وإمكانِ جريانِ الحكمِ في كلِّ زمانٍ؛ لأنَّ الرّسالةَ متجدّدةٌ عبرَ تبليغِها إلى المرسَلِ إليهِ[2] منْ لدُنْ إنزالِها حتّى قيامِ الساعةِ، وأنّ الجعلَ يتخطّى الإنزالَ والاختيارَ إلى الأثرِ وهو الإيمانُ والعملُ الصالحُ[3]، وهما مُتجدّدان مُستمرّان تجدّدَ اللّيلِ والنّهارِ؛ ففيها إيماءٌ إلى أنَّ الرِّسالةَ مستمرَّةٌ إلى يومِ الدِّينِ، لكنْ لا بمفهومِها النُّزوليِّ، بل بمفهومِها التَّكليفيِّ التَّبليغيِّ، فإنَّ أتباعَ الرُّسلِ يقومون بمهامِ التَّبليغِ، فيكتسبون الأجرَ والشَّرفَ في جعلِ تكاليفِ الرِّسالةِ فيهم.

توجيهُ القِراءاتِ القرآنيَّةِ في قولِه تعالى: ﴿رِسَالَتَهُۥ﴾:

وحـدةُ مصدرِ الـرّسـالات وغايتِها دليلٌ على وجوبِ اتِّباعِ الرِّسالةِ الخاتمةِ

اختلفَ القُرّاءُ في قولِه: ﴿رِسَالَتَهُۥ﴾ فقرأَ ابنُ كثيرٍ وحفصٌ بإفرادِ الرّسالةِ، وقرأَ الباقونَ بالجمعِ، أي: (رسالاتِه)[4]، فمعنى قراءةِ الإفرادِ؛ أنَّ الرِّسالةَ الإلهيَّةَ واحدةٌ في مصدرِها وآثارِها، ومعنى قراءةِ الجمعِ؛ اعتبارُ كلِّ رسالةٍ قائمةً برسولِها، فمجموعُ الرّسالاتِ غايتُها في رسالةٍ واحدةٍ، وهذا دليلٌ على وحدةِ المصدرِ، ووحدةِ الغايةِ، فالدِّينُ واحدٌ، وهو ما انتهى إليه الشَّأنُ في رسالةِ نبيِّنا ﷺ.

بلاغةُ الاستئنافِ البيانيِّ في قولِه تعالى: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ﴾:

مـصـيرُ من يجترئُ على اللهِ أن يصيبَه هوانٌ عندَ اللهِ جزاءً وفاقًا

جملةُ ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ استئنافٌ بيانيٌّ ناشئٌ عنْ قولِه: ﴿لِيَمْكُرُواْ فِيهَاۖ﴾ مؤسَّسٌ على سؤالٍ مفترَضٍ، فإنّهمْ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/53.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 4/265.
(3) العثيمين، تفسير العثيمين: 1/394.
(4) ابن الجزري، النشر: 2/262.

لّما اجترؤوا عليهِ سبحانهُ وأصرُّوا على المعاصي، وأقبحُها الكفرُ حسدًا منْ أنفسِهمْ فما مصيرُهمْ، وماذا سيحلُّ بهمْ؟ فجاءَ الجوابُ ﴿سَيُصِيبُ﴾ بهيئةِ وعيدٍ وتهديدٍ على أفعالِهمْ، والمرادُ بالذينَ أجرموا أكابرُ المجرمينَ الواردِ ذكرُهمْ في سياقِ الآيةِ نفسِها[1].

بلاغةُ استعمالِ لفظِ الإصابةِ في قولِه تعالى: ﴿سَيُصِيبُ﴾:

لفظُ الإصابةِ مجازٌ عن حشرِهم يومَ القيامةِ

استعمالُ لفظِ الإصابةِ في جملةِ ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ مجازٌ، فالأصلُ في معنى الإصابةِ: النّزولُ والاستقرارُ والانتهاءُ إلى الموضعِ[2]، فمصيرُ هؤلاءِ ومستقرُّهمْ جهنمُ يومَ القيامةِ، فالفعلُ ﴿سَيُصِيبُ﴾ واردٌ على طريقةِ المجازِ؛ كنايةً عنْ حشرِهمْ يومَ الدِّينِ[3].

نكتةُ استعمالِ الاسمِ الموْصُولِ في إظهارِ ما حقُّه الإضمارُ:

الإشعارُ بسببِ وقوعِ الهوانِ عليهم يومَ القيامة

جاءَ التّعبيرُ بالاسمِ الموصولِ في قولِه: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ دونَ الإضمارِ وهو مقتضى الظّاهرِ، فلم يقلْ: (سيصيبهم صغارٌ)؛ للإشعارِ بعلّةِ بناءِ الخبرِ على الصّلةِ، والمعنى أنَّ إجرامَهمْ سببٌ لإصابتِهمْ بالصَّغارِ والعذابِ[4].

سرُّ العُدولِ عن ذكرِ المكرِ إلى الإجرامِ في قولِه: ﴿أَجْرَمُواْ﴾:

لفظُ الإجرامِ شاملٌ الأكابرَ والأصاغرَ ممَّن تصدَّى للدَّعوة

عدلَ النَّظمُ عن ذكرِ المكرِ كما جاء في الآياتِ السَّابقة: ﴿لِيَمْكُرُواْ﴾ إلى ذكرِ فعلِ الإجرامِ في قولِه: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾؛ وذلك للإيماءِ إلى أنَّ الذينَ يستحقّونَ الصَّغارَ والعذابَ هم الذين أجرموا، وجيءَ بفعلِ ﴿أَجْرَمُواْ﴾ ليشملَ الجميعَ منَ الأكابرِ والأصاغرِ ممَّن يصدقُ عليهم لفظُ الإجرامِ، ونظيرُ ذلك قولُه سبحانه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ۝٨﴾ [القصص:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/أ55.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (صوب).
(3) إسماعيل حقي البروسوي، روح البيان: 3/99.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/أ56.

8]، ولو قال - في سياق الآية -: (الذين مكروا)؛ لظُنَّ أنَّ الأمر خاصٌّ بالأكابر، ولذا قال: ﴿أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا﴾؛ لاختصاص اللَّفظ بهم، فأتى بِلَفۡظِ ﴿أَجۡرَمُواْ﴾؛ وهو مستوعبٌ الأكابرَ والأصاغرَ منَ المجرمين.

سرُّ استعمالِ لفظِ ﴿صَغَارٌ﴾ دونَ مُرادِفاتِه:

مقابلةُ الكبْرِ بالصَّغارِ عدلٌ إلهيٌّ ووِفاقٌ جزائيٌّ

الصَّغارُ في قولِه: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ بمعنى الذّلّ، وهو مشتقٌ منَ الصِّغَرِ، أي: أذلّاءُ قِمَاءٌ راضون بالدّنيّةِ[1]، ولَمّا كانَ المعاقَبونَ متّصفينَ بالتكبّرِ والإجرامِ والعصيانِ المقترنِ بالإصرارِ عليه وهم المشارُ إليهم بقولِه: ﴿أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا﴾، ناسبَ أنْ يجعلَ مصيرَهمْ ومآلَهمْ ذُلًّا وعذابًا في الدّنيا بزوالِ السّيادةِ والأَسْرِ والقتلِ، فضلًا عنِ العذابِ والهوانِ في الآخرةِ[2]، فأتى بلفظٍ يُوحِي بالمقابلةِ فقابل الكبْرَ بالصَّغارِ جزاءً وِفاقًا.

دلالةُ تنكيرِ لفظِ ﴿صَغَارٌ﴾:

التّهوينُ والتّحقيرُ لكلّ متكبّرٍ

في تنكيرِ لفظِ ﴿صَغَارٌ﴾ مزيدُ تهوينٍ وتحقيرٍ لأولئك الأكابر، وهو مأخوذٌ منَ السِّياق.

فائدةُ التّقييدِ بالعنديّة في قولِه تعالى: ﴿صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾:

العِنديّةُ دالّةٌ على التّعظيمِ والتّهويلِ فالشّيءُ يعظُمُ بعظَمةِ محلّه

أفاد التّقييدُ بالعِنديةِ في قولِه: ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ الإشارةَ إلى تعظيمِ عذابِ هؤلاءِ، فإنَّ الشيءَ يعظُمُ بعظمةِ محلّهِ ومكانِه[3]، ولا أعظمَ منهُ تعالى، ولَمّا كانَ الأمرُ هنا في العذابِ فيكونُ الغرضُ منه التّعظيمَ والتهويلَ، ولمَّا طلبوا الكرامةَ والشَّرفَ عن غير استحقاقٍ في قولِهم: ﴿حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ ناسبَ أن يُؤتيَهم العذابَ الماديَّ والمعنويَّ عن استحقاقٍ فقال سبحانه: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدُۢ﴾.

---

(1) السمين، عمدة الحفاظ: (صغر).

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/أ56، والواحدي، التفسير الوسيط: 2/320.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 7/258.

سرُّ تقديمِ الصَّغارِ على العذابِ في قولِه: ﴿صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ﴾:

من طلبَ ما لا يستحِقُّ عوقب بما يستحِقُّ

قُدِّمَ ذكرُ الصَّغار على ذكر العذابِ الشديدِ في قولِه: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ﴾، وسرّ ذلكَ أنّهمْ لَمّا تمرّدوا على طاعتِه ﷺ كانتْ غايتُهمْ طلبَ العزّ والرّياسةِ والكرامةِ، فبيّنَ أنّهُ سيقابلُهمْ بضدِّ مطلوبِهمْ[1]، بَدْءًا بالصَّغارِ والذُّلِّ المعنويِّ، ثمَّ تَثْنِيَةً بالعذابِ الماديِّ الشّديدِ، فالتّقديمُ والتأخيرُ منْ بابِ مناسبةِ الحالِ، فلمَّا كان بالغُ عنايتهم بالكرامةِ والشَّرف بدأ بما يُناسبُ حالهم، ليذوقوه في الدُّنيا خبرًا، وفي الآخرة واقعًا.

نكتةُ وصفِ العذابِ بالشَّديدِ دون غيرِه منَ الأوصاف في قولِه: ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ﴾:

شـدّةُ عـذابِهـمْ مـعـادلٌ لـشـدَّةِ كفرِهم وشديدِ بأسِهم

بيّنَ الحقّ ﷻ نهايةَ هؤلاءِ المجرمينَ بعدَ الصَّغارِ بالعذابِ، ثمَّ وصفَهُ بالشّديدِ في قولِه: ﴿وَعَذَابٌ شَدِيدٌ﴾، دون أن يقول: (عذاب أليم)، أو (عذاب مهين) ونحوَ ذلك، ونكتةُ هذا الوصفِ أنَّ عذابَهمْ هذا لمْ ينزلْ بهم جُزافًا، ولم يقعْ عليهم جَوْرًا، بلْ هو مطابقٌ مسبّبٌ عنْ سوءِ فعالِهمْ وضررِ مكرِهمْ وكيدِهمْ[2]، فشدَّةُ العذابِ تُعادل شدَّةَ الذَّنْبِ، فلمَّا تشدَّدوا في كفرهم وأصرُّوا على شِركهم، ناسب أن يَذكرَ العذابَ الشَّديد الذي لن يُفْلِتوا منه.

معنى ﴿بِمَا﴾ في قولِه: ﴿بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ﴾:

عـذابُ المشركين بسبب مكرهم، الـذي مكروه في الدُّنيا

الباءُ في قولِه: ﴿بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ﴾ للسّببيةِ[3]، فالمكرُ سببُ عذابِهمْ، ولَمّا كانتِ الباءُ داخلةً على (ما) وهيَ تحتملُ المصدريةَ؛ فالمعنى بسببِ مكرِهمْ استحقّوا العذابَ، وتحتملُ الموصوليةَ فيكونُ

(1) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 13/137.
(2) الشعراوي، تفسير الشعراوي: 7/3925.
(3) ذكر لها أربعة عشر معنى، رابعها معنى السببية، ابن هشام، مغني اللبيب: 1/103.

المعنى بسببِ الذي كانوا يقترفونهُ منَ المكرِ[1]، والمعنيان بالمصدريّة والموصوليّة متآيلان، كلٌّ منهما يُفضي إلى الآخر.

بلاغةُ ذكرِ ﴿كَانُواْ﴾ في قوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ﴾:

فـعـلُ الـكـونِ يـــــدلُّ عـلى استمرارِ مكرِهمْ فاستحقّوا عليهِ العذابَ

المجيءُ بالفعلِ النّاقصِ ﴿كَانُواْ﴾ في قولِه تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ﴾؛ لدلالتِه على الاستمرارِ فإنّهم نالوا عذابَه تعالى بداعِي الاستمرارِ في المكرِ[2]، وهو تذكيرٌ بأنَّهم كانوا على حال المكر على الدَّوام لا يفترون عنها بحالٍ.

بلاغةُ التّعبير بالمكرِ في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ﴾، دون (يجرمون):

إظـهـارُ حقيقةِ حـالِ المشركين ومـدى شناعةِ أفعالِهم

دلالةُ اختيارِ الفعل ﴿يَمْكُرُونَ﴾ على (يجرمون) في هذه الآية، مع أنَّ لفظَ الإجرام سبقَ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ﴾، هي إظهارُ حقيقةِ حالِ المشركين ومدى شناعةِ أفعالِهم؛ فإنَّ اللّه تعالى وصفَهم في ختام الآيةِ الكريمةِ بالمكر دون الإجرام المنوَّهِ به، وهذا يدلُّ على أنّهم لم يكونوا مجرمين عاديّين، بل كانوا في غاية المكرِ، فإنّهم لم يكتفُوا بارتكابِ المحظوراتِ وانتهاكِ الحقوق، بل اتّخذوا من ذلك وسيلةً للإضرار برَسولِ اللّهِ ﷺ وأتباعِه، واستخدموا لذلك المخادعاتِ والحيلَ، فاللّه تعالى يريدُ أن يُصوِّرَ ما فعلوه من شرّ وما سيلاقون من عقابٍ، ولهذه الدَّلالة التي تحملُها كلمةُ ﴿يَمْكُرُونَ﴾ في هذه الآية، فقد اختارها اللّه تعالى بحكمتِه وإعجازِ كلامه العزيزِ، فهي توافقُ مقصودَ الآية منَ التّحذير منَ المكر والحثِّ على التّقوى.

دلالةُ إيثارِ لفظِ المكرِ بصيغة المُضارِعِ في قوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ﴾:

تـصـويـرُ مـكـرِ المجرمين لبيان خطورتِه وشدّةِ بأسِه

إيثارُ التّعبيرِ بالفعلِ المضارعِ ﴿يَمْكُرُونَ﴾ في قولِه تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ﴾ لدلالتِه على التّجدّدِ والحدوثِ فإنّهُ لا يخلُو زمانٌ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/أ56.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/183.

أوْ مكانٌ منْ أُناسٍ مجرمينَ يمكرونَ ويَكيدونَ لهذا الدِّينِ ولأئمةِ الإصلاحِ، وهو أمرٌ جارٍ حُكمُهُ حتّى قيامِ الساعةِ، أو لتصويرِ مكرِهم وبيانِ مدى خطورتِه على دين اللّه تعالى، وعلى الدُّعاة إلى الحقِّ.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الصَّغار والذِّلّة:

معنى الذُّلِّ الانقيادُ كرهًا، ونقيضهُ العزُّ وهو الإباءُ، فالعزيزُ أبيٌّ خلافَ الذَّليلِ المنقادِ[1]، أمّا الصَّغارُ فبينهُ وبينَ الذّلِّ وشائجُ وعلائقُ قويةٌ؛ ذلكَ أنَّ الصَّغارَ اعترافٌ بالذّلِّ وإقرارٌ بهِ وإظهارُ المرءِ صغيرًا ولا عكسَ، فقد لا يكونُ الذّليلُ مقرًّا ولا معترفًا بهِ، ومعنى قولهِ تعالى: ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أنّ العصاةَ والمجرمينَ والمتكبّرينَ في الآخرةِ مقرّونَ معترفونَ بالذّلّ[2]، فهذا فرقٌ بادٍ بينَ الذُّلّ والصَّغارِ فليُتأمَّلْ.

الـذُّلُّ نقيضُ العـزِّ، أمّـا الـصَّـغـارُ فهو الاعترافُ والإقرارُ بالذُّلِّ ولا عكسَ

(1) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 220.
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 314.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني عشر، سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 12 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-64-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 12 : سورة الأنعام من الآية 124 إلى سورة الأعراف الآية 13.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-798-64-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1637585 بتاريخ 2023/12/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»